

226270 - فضل التوبة يكون بحسب صدق التائبين ، وبحسب عملهم الصالح

السؤال

هل من ارتكب الذنوب ثم تاب يدخل الفردوس الأعلى من الجنة بلا حساب ولا عقاب إذا سعى لذلك ، وماذا أفعل كي أكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الفردوس الأعلى بلا حساب ولا عقاب ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

من تاب إلى الله توبة نصوحا تاب الله عليه ، وبذل سيئاته حسنات ، وأنزله منزل صدق ، وأحبه واجتباه .
قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان/ 68-70 .

قال ابن القيم رحمه الله :

" قد استقرت حكمة الله به عدلا وفضلا : أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا : أنه يبذل سيئاته حسنات ، وهذا حكم عام لكل تائب من ذنب ، وقد قال تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) ؛ فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ، ولكن هذا في حق التائبين خاصة " انتهى من " الجواب الكافي " (1/116) .

وقد روى ابن ماجه (4250) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ) ، حسنه الألباني في " صحيح سنن ابن ماجه " .

ثانياً :

يتفاوت التائبون في الفضل بحسب صدقهم في التوبة ، وبحسب ما هم عليه من العمل الصالح .

قال ابن القيم رحمه الله :

" إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعدت عليه ثواب حسناته .

يوضح هذا أن السيئات هي أمراض قلبية ، كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية ، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة ، عادت إليه قوته ، وأفضل منها ؛ حتى كأنه لم يضعف قط .

فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات ، والمرض بمنزلة الذنوب ، والصحة والعافية بمنزلة التوبة ، وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبداً لضعف عافيته ، ومنهم من تعود صحته كما كانت ، لتقاوم الأسباب وتدافعها ، ويعود البدن إلى كماله الأول ، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط ، لقوة أسباب العافية ، وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض ، حتى ربما كان مرض هذا سبباً لعافيته ، كما قال الشاعر :

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة : على هذه المنازل الثلاث " انتهى من " الوايل الصيب " (ص 12-13) .

انظر جواب السؤال رقم : (222686) .

فليس كل التائبين على درجة واحدة من الفضل ، وليس كل من تاب دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ، وأصاب الفردوس الأعلى ، ولكن منهم من يصيب ذلك بصدق توبته ، وحسن إنابته ، ودأبه على العمل الصالح دهره ، لا يكاد يفتر لسانه عن ذكر الله ، قلبه وبدنه مشغول بطاعة الله ومحبته ، وخوفه ومراقبته فيما استطاع .

فمن أراد الفردوس الأعلى جد واجتهد في العمل الصالح حتى يلقي ربه ، وأحسن الظن بالله ، وسأله من فضله ، قال تعالى : (

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) الكهف/ 107 .

وقال سبحانه : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) المؤمنون/ 1 - 11 .

وروى البخاري (2790) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) .

راجع جواب السؤال رقم : (135085) لمعرفة الطريق إلى الفردوس الأعلى .

ثالثا :

وروى البخاري (6472) ، ومسلم (220) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَنْطِيرُونَ وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وهؤلاء إنما يدخلون الجنة بغير حساب ؛ لكمال توحيدهم ، وحسن توكلهم على الله ، واستغنائهم عن الناس .

فمن أراد أن يصيب هذا الفضل فليسع إليه بالتوحيد وإخلاص الدين لله جل جلاله ، والاجتهاد في العمل الصالح ، والمرابطة عليه ، وتحقيق مقام التوكل على الله عز وجل ، وتخليصه من التعلق بالمخلوقين .

وللفائدة ينظر في جواب السؤال رقم : (174528) .

والله أعلم .